

# ذا نايشن: إسرائيل تخسر هذه الحرب

["The Nation - يستعرض هذا المقال الذي نشره موقع "ذا نايشن الأمريكي وقام بترجمته موقع الخنادق، المؤشرات الفلسطينية والإقليمية والدولية، التي تبين بأنه على الرغم من العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، فإن الكيان المؤقت قد فشل في تحقيق أهدافه السياسية، وهو ما يعني تحقيق المقاومة الفلسطينية انتصاراً استراتيجياً على كافة المستويات، وهو ما حذر من حصوله، مؤخراً وزير الدفاع \(الحرب\) الأمريكي لويد أوستن.](#)

## : النص المترجم

قد يبدو من السخافة الإشارة إلى أن مجموعة من [المسلحين غير النظاميين](#)، الذين لا يتجاوز عددهم عشرات الآلاف، والمحاصرين الذين لا يملكون سوى القليل من القدرة على الوصول إلى الأسلحة المتقدمة، يضاها أحد أقوى الجيوش في العالم، الذي تدعمه وتسلمه الولايات المتحدة. ومع ذلك فإن عدداً متزايداً من المحللين الاستراتيجيين في المؤسسة (أي الإدارة الأمريكية) يحذرون من أن إسرائيل قد تخسر هذه الحرب على الفلسطينيين، على الرغم من [أعمال العنف الكارثية](#) التي أطلقتها، منذ الهجوم الذي قاده حماس على إسرائيل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول. ومن خلال استفزاز الهجوم الإسرائيلي، ربما تكون حماس بصدد تحقيق العديد من أهدافها السياسية الخاصة.

ويبدو أن كلاً من إسرائيل وحماس يعيدان ضبط شروط تنافسهما السياسي، ليس على الوضع الراهن قبل السابع من تشرين الأول/أكتوبر، بل على الوضع الذي كان قائماً في عام 1948. ليس من الواضح ما سيأتي بعد ذلك، لكن لن تكون هناك عودة إلى الوضع السابق.

أدى الهجوم المفاجئ إلى تحييد المنشآت العسكرية الإسرائيلية، وكسر بوابات أكبر سجن مفتوح في العالم، وتسبب في هياج مروع قتل فيه نحو 1200 إسرائيلي، 845 منهم على الأقل من المدنيين. إن السهولة الصادمة التي اخترقت بها حماس الخطوط الإسرائيلية حول قطاع غزة ذكرت الكثيرين بهجوم تيت عام 1968. ليس حرفياً، فهناك اختلافات شاسعة بين حرب التدخل الأمريكية في أرض بعيدة والحرب الإسرائيلية

للدفاع عن احتلالها في الداخل، والتي يشنها جيش من المواطنين مدفوعاً بإحساس بالخطر الوجودي. وبدلاً من ذلك، فإن فائدة هذا القياس تكمن في المنطق السياسي الذي يشكل هجوم المتمردين.

في عام 1968، خسر الثوار الفيتناميون المعركة وضحوا بالكثير من البنية التحتية السياسية والعسكرية السرية التي بنوها بصبر على مدار سنوات. ومع ذلك، كان هجوم تيت لحظة أساسية في هزيمتهم للولايات المتحدة - وإن كان ذلك بتكلفة باهظة في أرواح الفيتناميين. ومن خلال شن هجمات دراماتيكية رفيعة المستوى في وقت واحد على أكثر من 100 هدف في جميع أنحاء البلاد في يوم واحد، حطمت العصابات الفيتنامية المسلحة بأسلحة خفيفة وهم النجاح الذي روجت له إدارة جونسون للشعب الأمريكي. لقد أوضحت للأميركيين أن الحرب التي طُلب منهم التضحية بعشرات الآلاف من أبنائهم من أجلها لا يمكن الفوز بها.

قامت القيادة الفيتنامية بقياس تأثير أعمالها العسكرية من خلال آثارها السياسية وليس من خلال التدابير العسكرية التقليدية مثل خسارة الرجال والعتاد أو اكتساب الأراضي. ومن هنا جاء رثاء هنري كيسنجر عام 1969: "لقد خضنا حرباً عسكرية؛ خصومنا خاضوا معركة سياسية. سعينا للاستنزاف الجسدي. كان خصومنا يهدفون إلى إنهاكنا النفسي. وفي هذه العملية فقدنا رؤية أحد المبادئ الأساسية لحرب العصابات: إن حرب العصابات تفوز إذا لم تخسر. والجيش التقليدي العصابات: "يخسر إذا لم ينتصر".

هذا المنطق جعل جون ألترمان، من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية غير الحائمي تماماً في واشنطن العاصمة، يرى أن إسرائيل: معرضة لخطر كبير بالخسارة أمام حماس:

إن مفهوم [حماس](#) للنصر العسكري... يدور حول تحقيق نتائج سياسية "طويلة الأمد. إن حماس لا ترى النصر في عام واحد أو خمسة أعوام، بل من خلال الانخراط في عقود من النضال الذي يزيد من التضامن الفلسطيني ويزيد من عزلة إسرائيل. في هذا السيناريو، تحشد حماس السكان المحاصرين في غزة حولها بغضب وتساعد في انهيار حكومة السلطة الفلسطينية من خلال ضمان أن ينظر الفلسطينيون إليها على أنها ملحق ضعيف للسلطة العسكرية الإسرائيلية. وفي الوقت نفسه، تبتعد الدول العربية بقوة عن التطبيع، وينحاز الجنوب العالمي بقوة إلى القضية الفلسطينية، وتراجع أوروبا عن تجاوزات الجيش الإسرائيلي، ويندلع نقاش أمريكي حول إسرائيل، مما يؤدي إلى تدمير

”الدعم الحزبي الذي تتمتع به إسرائيل هنا منذ أوائل السبعينيات

وكتب ألترمان أن حماس تسعى إلى ”استخدام قوة إسرائيل الأكبر بكثير لهزيمة إسرائيل. إن قوة إسرائيل تسمح لها بقتل المدنيين الفلسطينيين، وتدمير البنية التحتية الفلسطينية، وتحدي الدعوات العالمية لضبط النفس. كل هذه الأمور تعزز أهداف حماس الحربية

لقد تم تجاهل مثل هذه التحذيرات من قبل إدارة بايدن والقادة الغربيين، الذين تعود جذور احتضانهم غير المشروط لحرب إسرائيل إلى الوهم القائل بأن إسرائيل كانت مجرد دولة غربية أخرى تمارس أعمالها بسلام قبل أن تتعرض لهجوم غير مبرر في 7 أكتوبر - إنه خيال مريح. لأولئك الذين يفضلون تجنب الاعتراف بالواقع الذي شاركوا في خلقه .

انسوا ”الإخفاقات الاستخباراتية“؛ كان فشل إسرائيل في توقع السابع من أكتوبر بمثابة فشل سياسي في فهم عواقب نظام القمع العنيف الذي وصفته منظمات حقوق الإنسان الدولية والإسرائيلية الرائدة بالفصل العنصري .

قبل عشرين عاما، حذر رئيس الكنيست السابق أفروم بورغ من حتمية ردود الفعل العنيفة. ”اتضح أن النضال الذي دام ألفي عام من أجل بقاء اليهود يعود إلى حالة المستوطنات، التي تديرها زمرة غير أخلاقية من منتهكي القانون الفاسدين الذين لا يسمعون صوت مواطنيهم وأعدائهم على حد سواء“. وكتب في صحيفة إنترناشيونال هيرالد ”تريبون: “لا يمكن لدولة تفتقر إلى العدالة أن تستمر

وحتى لو خفض العرب رؤوسهم وابتلعوا عارهم وغضبهم إلى الأبد، فلن ينجح الأمر. إن البنية المبنية على القسوة البشرية سوف تنهار حتماً على نفسها... ولا ينبغي لإسرائيل، التي توقفت عن الاهتمام بأطفال الفلسطينيين، أن تتفاجأ عندما يأتي هؤلاء مغسولين بالكراهية ويفجرون أنفسهم في مراكز الهروب الإسرائيلية .

وحذر بورغ من أن إسرائيل قد تقتل ألفاً من رجال حماس يومياً دون أن تحل شيئاً ، لأن أعمال العنف التي تقوم بها إسرائيل سوف تكون مصدراً لتجديد صفوفها. وقد تم تجاهل تحذيراته، حتى بعد أن تم تبريرها عدة مرات. وهذا المنطق نفسه يطبق الآن على المنشطات في الدمار الذي يلحق بغزة. إن العنف الهيكلي الطاحن الذي توقعت إسرائيل أن يعاني منه الفلسطينيون في صمت، يعني أن الأمن الإسرائيلي كان دائما وهمياً .

لقد أكدت الأسابيع التي تلت 7 تشرين الأول/أكتوبر أنه لا يمكن العودة إلى الوضع الذي كان قائماً من قبل. وكان هذا على الأرجح هدف حماس من شن هجماتها القاتلة. وحتى قبل ذلك، كان كثيرون في القيادة الإسرائيلية يدعون علناً إلى استكمال النكبة، أي التطهير العرقي لفلسطين؛ والآن تم تضخيم تلك الأصوات.

وشهدت الهدنة الإنسانية المتفق عليها بين الطرفين في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني إطلاق حماس سراح بعض الرهائن مقابل إطلاق سراح الفلسطينيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية وزيادة الإمدادات الإنسانية التي تدخل غزة. وعندما استأنفت إسرائيل هجومها العسكري وعادت حماس إلى إطلاق الصواريخ، كان من الواضح أن حماس لم تُهزم عسكرياً. إن المذبحة والدمار الشاملين اللذين أحدثتهما إسرائيل في غزة يشيران إلى نية جعل المنطقة غير صالحة للسكن بالنسبة لـ 2.2 مليون فلسطيني يعيشون هناك، والضغط من أجل الطرد عبر كارثة إنسانية مدبرة عسكرياً. والحقيقة أن تقديرات الجيش الإسرائيلي تشير إلى أنه قضي حتى الآن على أقل من 15% من القوة القتالية التابعة لحماس. وذلك في حملة أسفرت عن مقتل أكثر من 21 ألف فلسطيني، معظمهم من المدنيين، منهم 8600 طفل.

## أكتوبر والسياسة الفلسطينية 7

ويكاد يكون من المؤكد أن الجيش الإسرائيلي سوف يطرد حماس من حكم غزة. لكن محللين مثل طارق بقعوني، الذي درس الحركة وتفكيرها على مدى العقدين الماضيين، يقولون إنها سعت منذ بعض الوقت إلى التحرر من أغلال حكم منطقة معزولة عن بقية فلسطين، بشروط تضعها قوة الاحتلال.

أظهرت حماس منذ فترة طويلة رغبة في الخروج من دورها في حكم غزة، بدءاً من احتجاجات مسيرة العودة الحاشدة غير المسلحة في عام 2018، التي قمعتها نيران القناصة الإسرائيلية بعنف، إلى الجهود التي أحبطتها الولايات المتحدة وإسرائيل لنقل حكم غزة إلى حكومة فلسطينية بعد إصلاح السلطة، أو التكنوقراط المتفق عليهم، أو الحكومة المنتخبة، في حين ركزت على إعادة تركيز السياسة الفلسطينية في كل من غزة والضفة الغربية على مقاومة الوضع الراهن للاحتلال، بدلاً من الوصاية عليه. وإذا كانت نتيجة هجومها هي فقدان المسؤولية عن حكم غزة، فقد ترى حماس أن ذلك مفيداً.

وقد حاولت حماس دفع فتح إلى مسار مماثل، وحثت الحزب الحاكم في

الضفة الغربية على إنهاء التعاون الأمني بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل ومواجهة الاحتلال بشكل أكثر مباشرة. وبالتالي فإن فقدان السيطرة البلدية على غزة لا يشكل هزيمة حاسمة لجهود حماس الحربية؛ بالنسبة لحركة مكرسة لتحرير الأراضي الفلسطينية، لقد بدأ حكم غزة يبدو وكأنه طريق مسدود، تماما كما كان الحكم الذاتي المحدود. الدائم في الجزر غير المتجاورة في الضفة الغربية بالنسبة لفتح

ويقول بقعوني إن حماس شعرت على الأرجح بأنها مضطرة إلى خوض مقاومة عالية المخاطر لتحطيم الوضع الراهن الذي اعتبرته موتًا بطيئًا لفلسطين. وكتب في مجلة فورين بوليسي: "كل هذا لا يعني أن التحول الاستراتيجي لحماس سيعتبر ناجحا على المدى الطويل".

وربما كان التعطيل العنيف للوضع الراهن من جانب حماس قد أتاح لإسرائيل الفرصة لتنفيذ نكبة أخرى. وقد يؤدي ذلك إلى اندلاع حريق إقليمي أو توجيه ضربة للفلسطينيين قد يستغرق التعافي منها جيلاً كاملاً. لكن الأمر المؤكد هو أنه لا عودة إلى ما كان عليه من قبل

ربما كانت مناورة حماس إذن تتمثل في التضحية بالحكم البلدي في غزة المحاصرة لتعزيز مكانتها كمنظمة مقاومة وطنية. حماس لا تحاول دفن فتح؛ إن اتفاقيات الوحدة المختلفة بين حماس وفتح، وخاصة تلك التي يقودها أسرى من كلا الحركتين، تظهر أن حماس تسعى إلى تشكيل جبهة موحدة. فالسلطة الفلسطينية غير قادرة على حماية الفلسطينيين في الضفة الغربية من العنف المتزايد الذي تمارسه المستوطنات الإسرائيلية وسيطرتها الراسخة، ناهيك عن الرد بشكل هادف على سفك الدماء في غزة. وتحت غطاء الدعم الغربي لغزة، قتلت إسرائيل مئات الفلسطينيين، واعتقلت الآلاف، وهجرت قرى بأكملها في الضفة الغربية، في حين قامت في الوقت نفسه بتصعيد هجمات المستوطنين التي ترعاها الدولة. ومن خلال قيامها بذلك، زادت إسرائيل من تقويض حركة فتح بين السكان ودفعتها في اتجاه حماس.

لسنوات، هاجم المستوطنون المحميون من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي القرى الفلسطينية بهدف إجبار سكانها على المغادرة وتشديد قبضة إسرائيل غير القانونية على الأراضي المحتلة - لكن توسيع هذا منذ 7 أكتوبر / تشرين الأول يتسبب في غضب حتى شركاء إسرائيل في الولايات المتحدة. إن تهديد بايدن بحظر التأشيرات ضد المستوطنين المتورطين في العنف ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية هو مجرد تهرب؛ فهؤلاء المستوطنون بعيدون كل البعد عن الجهات المارقة الفردية؛ إنهم مسلحون من قبل الدولة ويتمتعون بحماية شديدة من قبل جيش الدفاع

الإسرائيلي والنظام القانوني الإسرائيلي، لأنهم ينفذون سياسة الدولة. لكن حتى تهديد بايدن الخاطئ يوضح أن إسرائيل على خلاف مع إدارته.

تتمتع حماس بمنظور فلسطيني شامل، وليس منظوراً خاصاً بغزة، ولذلك فقد قصدت أن يكون لـ 7 تشرين الأول (أكتوبر) تأثيرات تحويلية في جميع أنحاء فلسطين. خلال "انتفاضة الوحدة" عام 2021 التي سعت إلى ربط نضالات الفلسطينيين في كل من الضفة الغربية وغزة مع نضالات داخل إسرائيل، اتخذت حماس إجراءات لدعم هذا الهدف. والآن، تعمل الدولة الإسرائيلية على تسريع هذا الارتباط من خلال حملة قمع مذعورة ضد أي تعبير عن المعارضة بين مواطنيها الفلسطينيين. وتم اعتقال مئات الفلسطينيين في الضفة الغربية، بما في ذلك النشطاء والشباب الذين ينشرون على الفيسبوك. وتدرك إسرائيل تمام الإدراك احتمال التصعيد في الضفة الغربية. وبهذا المعنى، فإن الرد الإسرائيلي لم يؤدي إلا إلى التقريب بين سكان الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن الواضح أن إسرائيل لم تكن تنوي أبداً قبول قيام دولة فلسطينية ذات سيادة في أي مكان غرب نهر الأردن. وبدلاً من ذلك، تعمل إسرائيل على تكثيف خططها طويلة الأمد لتأمين سيطرتها على المنطقة. إن ذلك، بالإضافة إلى التعدي الإسرائيلي المتزايد على المسجد الأقصى، هو بمثابة تذكير بأن إسرائيل تعمل بنشاط على تأجيج أي انتفاضة قادمة في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وحتى داخل خطوط 1967.

ومن عجيب المفارقات إذن، أن إصرار الولايات المتحدة على تولي السلطة الفلسطينية على غزة بعد حرب الدمار التي شنتها إسرائيل — وتحذيراتها الضعيفة المتأخرة بشأن عنف المستوطنين — يعزز فكرة كون الضفة الغربية وغزة كياناتاً واحداً. إن السياسة التي تنتهجها إسرائيل منذ 17 عاماً لفصل الضفة الغربية الخاضعة التي تديرها السلطة الفلسطينية المنتقاة عن "غزة التي يديرها الإرهابيون" قد باءت بالفشل.

## إسرائيل بعد 7 أكتوبر

لقد حطمت الغارة التي قادتها حماس الأساطير التي تقول إن إسرائيل لا تقهر، وتوقعات مواطنيها بالهدوء حتى في الوقت الذي تخنق فيه الدولة حياة الفلسطينيين. قبل أسابيع فقط، كان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو يتباهى بأن إسرائيل نجحت في "إدارة" الصراع إلى

درجة أن فلسطين لم تعد تظهر على خريطته "للشرق الأوسط الجديد". ومع اتفاقيات أبراهام والتحالفات الأخرى، كان بعض القادة العرب يحتضنون إسرائيل. وكانت الولايات المتحدة تروج للخطة، حيث ركز الرئيسان دونالد ترامب وجو بايدن على "التطبيع" مع الأنظمة العربية التي كانت على استعداد لترك الفلسطينيين عرضة للفصل العنصري الإسرائيلي المتشدد. وكان يوم السابع من أكتوبر بمثابة تذكير وحشي بأن هذا الأمر لا يمكن الدفاع عنه، وأن المقاومة الفلسطينية تمثل شكلاً من أشكال سلطة النقص على الجهود التي يبذلها الآخرون لتحديد مصيرهم.

من السابق لأوانه قياس تأثير 7 تشرين الأول (أكتوبر) على السياسة الداخلية الإسرائيلية. لقد جعل الإسرائيليون أكثر تشدداً، ولكن في الوقت نفسه أصبحوا أكثر عدم ثقة في قيادتهم الوطنية بعد الفشل الهائل في الاستخبارات والرد. لقد تطلب الأمر تعبئة جماهيرية كبيرة ضد الحكومة من قبل عائلات الإسرائيليين المحتجزين في غزة من أجل وقف العمل العسكري وتأمين صفقة إطلاق سراح الرهائن. إن المعارضة الداخلية الكبيرة بشأن الرهائن وما هو مطلوب من إسرائيل لتأمين عودتهم، يمكن أن تزيد الضغط من أجل المزيد من صفقات الإفراج، وحتى وقف كامل لإطلاق النار، على الرغم من التصميم على مواصلة الحرب بين الكثير من القيادات السياسية والعسكرية. ويظل الرأي العام الإسرائيلي مشوشاً، وغاضباً، ولا يمكن التنبؤ بتصرفاته.

ثم هناك تأثير الحرب على الاقتصاد الإسرائيلي، الذي يعتمد نموذج نموه، على جذب مستويات عالية من الاستثمار الأجنبي المباشر إلى قطاع التكنولوجيا، وغيره من الصناعات التصديرية. وقد تم بالفعل الاستشهاد بالاحتجاج الاجتماعي العام الماضي وعدم اليقين بشأن الخلافات الدستورية كسبب لانخفاض الاستثمار الأجنبي المباشر بنسبة 68% على أساس سنوي خلال الصيف. وتضيف الحرب التي تخوضها إسرائيل، والتي تم حشد 360 ألف جندي احتياطي لها، مستوى جديداً من الصدمة. :كتب الاقتصادي آدم توز في كتابه الفرعي

ويقدر اللوبي التكنولوجي في إسرائيل أنه تم تعبئة عشر قوته العاملة. لقد أصيب قطاع البناء بالشلل بسبب الحجر الصحي على القوى العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية. وانهار استهلاك الخدمات مع ابتعاد الناس عن المطاعم وقلة التجمعات العامة. وتشير سجلات بطاقات الائتمان إلى أن الاستهلاك الخاص في إسرائيل انخفض بنحو الثلث في الأيام التي تلت اندلاع الحرب. وانخفض الإنفاق على الترفيه والتسلية بنسبة 70%. وتوقفت السياحة بشكل مفاجئ، وهي الدعامة

الأساسية للاقتصاد الإسرائيلي. تم إلغاء الرحلات الجوية وتحويل شحن البضائع. في الخارج، أمرت الحكومة الإسرائيلية شركة شيفرون بوقف الإنتاج في حقل تمار للغاز الطبيعي، مما كلف إسرائيل 200 مليون دولار شهريًا من الإيرادات المفقودة.

إن إسرائيل دولة غنية تتمتع بالموارد اللازمة للتغلب على بعض هذه العاصفة، ولكن مع ثروتها تأتي الهشاشة، ولديها الكثير لتخسره.

## غزة بعد 7 أكتوبر

لقد تدفقت القوات الإسرائيلية على غزة ومعها خطة قتالية، ولكن لا توجد خطة حرب واضحة لغزة بعد غزوها. ويهدف بعض القادة العسكريين الإسرائيليين إلى الحفاظ على "السيطرة الأمنية" من النوع الذي يتمتعون به في منطقة الضفة الغربية التابعة للسلطة الفلسطينية. وفي غزة فإن هذا من شأنه أن يضعها في مواجهة تمرد أفضل تدريبًا ويدعمه معظم السكان. ويدعو كثيرون في الدوائر الحكومية الإسرائيلية إلى تهجير قسم كبير من السكان المدنيين في غزة قسراً إلى مصر، من خلال هندسة أزمة إنسانية تجعل غزة غير صالحة للعيش. وقالت الولايات المتحدة إنها استبعدت ذلك، لكن لا يمكن لأي مقامر ذكي أن يستبعد إمكانية سعي الإسرائيليين للحصول على العفو بدلاً من السماح لهم بمزيد من التطهير العرقي على نطاق واسع بما يتماشى مع أهداف إسرائيل الديموغرافية طويلة المدى المتمثلة في تقليل عدد السكان الفلسطينيين بين الضفة الغربية وقطاع غزة بين النهر والبحر.

وقد لجأ المسؤولون الأميركيون إلى كتب الصلاة القديمة، وتحدثوا عن أملهم في إعادة محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، البالغ من العمر 88 عاماً، إلى مسؤولية غزة، مع الوعد بتجديد السعي لتحقيق "حل الدولتين" الوهمي. لكن السلطة الفلسطينية لا تتمتع بمصداقية حتى في الضفة الغربية بسبب إذعانها للاحتلال الإسرائيلي المتزايد الاتساع. ثم هناك حقيقة مفادها أن منع السيادة الفلسطينية الحقيقية في أي جزء من فلسطين التاريخية كان منذ فترة طويلة نقطة إجماع في القيادة الإسرائيلية عبر معظم الطيف السياسي الصهيوني. ولا يحتاج قادة إسرائيل إلى الالتزام بتوقعات الإدارة الأميركية التي قد يتم التصويت عليها في العام المقبل. ولديهم قدرة مثبتة على هز الكلب حتى لو أعيد انتخاب بايدن (هز الكلب مصطلح يعني سياسياً القيام بالعمل العسكري الزائد عن الحاجة من أجل صرف الانتباه عن الفضيحة الداخلية). لقد اختارت الولايات المتحدة ركوب البندقية في

آلة الحرب الإسرائيلية، التي قد لا تكون وجهتها واضحة، لكنها بالتأكيد ليست أي نوع من الدولة الفلسطينية.

## التأثير العالمي لـ 7 أكتوبر

ربما تكون [إسرائيل والولايات المتحدة](#) قد أقنعتا نفسيهما بأن العالم قد "تجاوز" المحنة الفلسطينية، ولكن الطاقات التي أطلقتها الأحداث منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول تشير إلى أن العكس هو الصحيح. ترددت أصدااء دعوات التضامن مع فلسطين في شوارع العالم العربي، وعملت في بعض البلدان كلغة مشفرة للمعارضة ضد الاستبداد البالي. وفي جميع أنحاء الجنوب العالمي وفي مدن الغرب، تحتل [فلسطين](#) الآن مكانًا رمزيًا باعتبارها تجسيدًا للتمرد ضد النفاق الغربي ونظام ما بعد الاستعمار الظالم. منذ الغزو غير القانوني الذي قاده الولايات المتحدة للعراق، لم يخرج هذا العدد الكبير من الملايين حول العالم إلى الشوارع للاحتجاج. لقد استعرضت العمالة المنظمة عضلاتها الأممية لتحدي شحنات الأسلحة إلى إسرائيل، وذكّرت نفسها بقدرتها على تغيير التاريخ، ويتم استخدام الآليات القانونية مثل المحكمة الجنائية الدولية، ومحكمة العدل الدولية، وحتى المحاكم الأمريكية والأوروبية للطعن في السياسات الحكومية التي تمكن إسرائيل من ارتكاب جرائم الحرب.

بسبب الذعر من العالم المذعور من أفعالها في غزة، عادت إسرائيل ومناصروها إلى [اتهامات معاداة السامية ضد أولئك الذين يتحدثون وحشية إسرائيل](#) - ولكن كل شيء بدءًا من المسيرات الحاشدة إلى المعارضة اليهودية الصاخبة وحتى استطلاعات الرأي حول تعامل بايدن مع الأزمة، تشير إلى أن مساواة التضامن بمعاداة السامية، ليست خاطئة من الناحية الواقعية فحسب؛ إنها غير مقنعة.

فقد قطعت العديد من الدول في أميركا اللاتينية وأفريقيا علاقاتها بشكل رمزي، كما أدى القصف المتعمد للسكان المدنيين ومنع الوصول إلى المأوى والغذاء والماء والرعاية الطبية إلى إصابة العديد من حلفاء إسرائيل بالذعر. إن مدى العنف الذي يرغب الغرب في تأييده ضد الشعب الأسير في غزة، يقدم للجنوب العالمي تذكيرًا صارخًا بالحسابات غير المستقرة مع الغرب الإمبراطوري. وعندما يناشد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو إسرائيل علنًا أن تتوقف عن "قصف الأطفال"، فإن إسرائيل معرضة لخطر خسارة حتى أجزاء من الغرب. لقد أصبح من الصعب على الدول العربية والإسلامية على المدى القصير الحفاظ على العلاقات

.العامه ، ناهيك عن توسيعها

إن التلاعب برد فعل إسرائيل على أحداث السابع من تشرين الأول (أكتوبر) قد أدى أيضًا إلى تفجير فقاعة الأوهام الأمريكية المتمثلة في استعادة الهيمنة في الجنوب العالمي تحت عنوان "نحن الخيار". إن التناقض بين استجابتها للأزمات الروسية الأوكرانية والإسرائيلية الفلسطينية على التوالي قد أنتج إجماعًا على أن هناك نفاقًا في قلب السياسة الخارجية الأمريكية، مما أنتج مشاهد غير عادية مثل انتقاد بايدن وجهًا لوجه في قمة أبيك، من قبل رئيس الوزراء الماليزي أنور إبراهيم لفشله في الوقوف ضد الفطائع الإسرائيلية

وحذر إبراهيم على وجه التحديد من أن رد بايدن على غزة قد أثار عجزًا خطيرًا في الثقة مع أولئك الذين تأمل الولايات المتحدة في مغازلتهم كحلفاء، في منافستها مع روسيا والصين. وبعد أن أثبتوا للحلفاء العرب أن راعتهم في واشنطن ستقف إلى جانب إسرائيل، حتى عندما تقصف المدنيين العرب، فمن المرجح أن يعزز اتجاه دول الجنوب العالمي إلى تنويع محافظها الجيوسياسية.

## السؤال السياسي

ومن خلال تحطيم الوضع الراهن الذي يجده الفلسطينيون غير محتمل، أعادت حماس السياسة إلى الأجنده. تتمتع إسرائيل بقوة عسكرية كبيرة، لكنها ضعيفة سياسيا. يفترض قسم كبير من المؤسسة الأميركية التي تدعم الحرب الإسرائيلية أن العنف النابع من مجتمع مضطهد يمكن القضاء عليه من خلال استخدام القوة العسكرية الساحقة ضد هذا المجتمع. لكن حتى وزير الدفاع لويد أوستن أبدى شكوكه حول هذه الفرضية، محذرا من أن الهجمات الإسرائيلية التي تقتل الآلاف من المدنيين تخاطر بدفعهم "إلى أحضان العدو [واستبدال] النصر". "التكتيكي بهزيمة استراتيجية

يجب الساسة ووسائل الإعلام الغربية أن يتخلوا أن حماس هي عبارة عن كادر عدمي على غرار داعش يحتجز المجتمع الفلسطيني كرهينة؛ إن حماس، في الواقع، حركة سياسية متعددة الأوجه متجذرة في نسيج المجتمع الفلسطيني وتطلعاته الوطنية. فهي تجسد اعتقادا أكدته عقود من الخبرة الفلسطينية بأن المقاومة المسلحة تشكل عنصرا مركزيا في مشروع التحرير الفلسطيني بسبب فشل عملية أوصلو والعداء المستعصي من جانب خصمها. وقد نما نفوذها وشعبيتها مع استمرار إسرائيل وحلفائها، في إحباط عملية السلام وغيرها من

.الاستراتيجيات اللاعنفية لتحقيق التحرير الفلسطيني

فالحملة الإسرائيلية ستؤدي إلى تقليص القدرة العسكرية لحماس. ولكن حتى لو كان الأمر يتعلق بقتل كبار قادة المنظمة (كما فعلت من قبل)، فإن رد إسرائيل على أحداث السابع من أكتوبر/تشرين الأول يؤكد رسالة حماس ومكانتها بين الفلسطينيين في مختلف أنحاء المنطقة وخارجها. على سبيل المثال، تعتبر الاحتجاجات الكبيرة في الأردن مع الهتافات المؤيدة لحماس غير مسبوقة. لا يتطلب الأمر موافقة أو دعمًا لتصرفات حماس في 7 أكتوبر للاعتراف بالجابزية الدائمة للحركة التي تبدو قادرة على جعل إسرائيل تدفع نوعًا من ثمن العنف الذي تمارسه على الفلسطينيين كل يوم، وكل عام، جيلًا بعد جيل .

ويشير التاريخ أيضًا إلى نمط حيث يظهر ممثلو الحركات التي وصفها خصومهم بأنها "إرهابية" - في جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، أو أيرلندا - على طاولة المفاوضات عندما يحين الوقت للبحث عن حلول سياسية. سيكون من غير التاريخي المراهنة ضد حماس، أو على الأقل نسخة ما من التيار السياسي الإيديولوجي الذي تمثله، والقيام بنفس الشيء إذا وعندما يتم إعادة النظر بجدية في الحل السياسي بين إسرائيل والفلسطينيين .

ما سيأتي بعد أعمال العنف المروعة ليس واضحًا على الإطلاق، لكن هجوم حماس في 7 أكتوبر/تشرين الأول أدى إلى إعادة ضبط المنافسة السياسية التي يبدو أن إسرائيل غير راغبة في الرد عليها بما يتجاوز القوة العسكرية المدمرة ضد المدنيين الفلسطينيين. وبينما تسير الأمور بعد ثمانية أسابيع من الانتقام، لا يمكن القول إن إسرائيل تنتصر .

---

The Nation - المصدر: ذا ناشن

ترجمة: موقع الخنادق